## المحاضرة السابعة: رواد الصحافة الجزائرية

تُعد الصحافة الجزائرية عبر تاريخها الطويل إحدى أهم الركائز السيادية التي استندت إليها الهوية الوطنية، فهي لم تكن يوماً مجرد وسيلة لنقل الأخبار أو رصد الأحداث، بل كانت بمثابة خندق فكري وسلاح نضالي شاهرٍ في وجه محاولات الطمس والمسخ الثقافي. لقد برز في الساحة الإعلامية جيل من الرواد الأوائل الذين حملوا على عاتقهم أمانة الكلمة حيث كرسوا أقلامهم لخدمة قضايا الأمة ونشر الوعي الإصلاحي بين فئات المجتمع فقد آمنوا بأن الصحافة هي لسان حال الشعب ومرآة تطلعاته، واستطاعوا بجهود فردية وجماعية مضنية أن يؤسسوا منابر إعلامية أصبحت لاحقاً مدارس لتخريج النخب الوطنية، فكانت مقالاتهم وافتتاحياتهم تشحذ الهمم وتصون التراث اللغوي والديني، ممهدين الطريق بصمودهم الأسطوري لنشوء صحافة وطنية حرة وملتزمة. وبفضل تلك اللبنات الأولى، تحولت الصحافة في الجزائر من مجرد منشورات دورية إلى جبهة حقيقية للدفاع عن الوجود والكرامة.

عمر راسم

عمر بن قدور الجززائري

أبو اليقظان

### 1. عمر راسم:

يُعدُّ الأديب والفنان **عمر راسم** (1884–1959) قامةً فكريةً جزائريةً نشأت في كنف حي القصبة العتيق، حيث امتزج تكوينه الرصين بالانتماء العرقي لقبيلة صنهاجة البجائية، وهو ما جسّده لاحقاً في توقيعاته الصحفية باسم "الصنهاجي". استهل راسم مساره المعرفي بحفظ القرآن الكريم في سنٍ مبكرة وتعيينه "حزّاباً" بجامع السفير وهو في الثانية عشرة، قبل أن ينتقل إلى المدرسة الثعالبية المزدوجة ( العربية والفرنسية) التي لم يمكث فيها غير سنة واحدة، إذ أدى استقلاله الفكري ومواقفه

التحررية المبكرة إلى صدامه مع المنظومة التعليمية القائمة آنذاك وطُرده منها. لم يتوقف طموحه عند هذا الحد بل صقل موهبته الفنية في ورشة والده المختصة في الزخرفة والنقش، مما مكنه من الجمع بين التمكن اللغوي والبراعة الفنية، لتبدأ منذ تلك اللحظة ملامح شخصيته الثائرة التي صهرت بين الموروث العربي الإسلامي وبين التطلعات الوطنية التحررية في قوالب صحفية وفنية رائدة [1].

شكّل التحاق عمر راسم بـ "المطبعة الرسمية "وهو في سن الرابعة عشرة منعطفاً جوهرياً في مساره الفكري والمهني؛ ففي هذا الفضاء التقني الذي كانت تصدر عنه جريدة "المبشر "الاستعمارية، وجد راسم نفسه في قلب الماكينة الإعلامية للإدارة الفرنسية " **لقد أُسست هذه الجريدة لتكون صلة وصل بين الإدارة الاستعمارية والجزائر بغاية إطلاعهم على القوانين والمشاريع الاستعمارية وتوجيه الوعي العام بما يخدم مصالحها، وقد شكل هذا العمل لراسم أول احتكاك له بعالم الصحافة والتيارات السياسية** " [2]، حيث أتاح له الاطلاع عن قرب على تقنيات التحرير وأساليب الخطاب الإعلامي، فضلاً عن كونه نافذةً رصد من خلالها التفاعلات الفكرية المتصارعة في تلك الحقبة. ومن رحم هذه التجربة استطاع راسم أن يستوعب آليات القوة الإعلامية، ليوظف تلك الخبرة لاحقاً في الانقلاب على الخطاب الاستعماري، محولاً سلاح الكلمة من أداة للهيمنة إلى وسيلة للتحرر وبناء الوعي الوطني الأصيل.

تجلت الإرهاصات الأولى للمسار الصحفي عند عمر راسم في وقت مبكر جداً، وذلك من خلال مبادرته الريادية بتأسيس مجلة "**الجزائر** "عام 1908م، والتي أصدر منها عددين تجريبيين في شكل ملحقين (يُحتفظ بهما حالياً في أرشيف المكتبة الوطنية الفرنسية بباريس). وتحمل هذه المجلة في طياتها دلالات سياسية وحضارية عميقة؛ إذ تعمد راسم كتابة اسمها بالحروف اللاتينية بصيغة "**Al-Djazair**"بدلاً من المصطلح الاستعماري "**Algérie**"الذي فرضته وزارة الحربية الفرنسية عام 1839م.وكانت هذه الخطوة بمثابة دعوة صريحة لتصحيح المفاهيم وتكريس فكرة الإيمان بالوطن من خلال العودة إلى المصطلح الأصيل، إدراكاً منه لما لترسيخ الهوية من أثر في بناء الوعي السياسي والاجتماعي، وقد جاء المحتوى الفكري للمجلة منسجماً مع هذا التوجه، حيث ركزت في جوهرها على ضرورة النهضة الشاملة وهو ما تجسد بوضوح في مقال العدد الثاني الذي

---

[1] ينظر، إبراهيم مياسي، عمر راسم والصحافة، مجلة دراسات تراثية، مج 7، ع 1، جامعة الجزائر 02،، الجزائر، 2013، ص 211.

[2] أمال إمخلاف، عمر راسم حياته ونشاطه (1884- 1962)، مذكرة ماجستير، إشراف: بن نعيمة عبد المجيد، قسم التاريخ وعلم الآثار، ص 19.

حمل عنوان "**نهضة الأمة وحياتها** "للشيخ **الطنطاوي جوهري** أحد أبرز علماء الأزهر الشريف، مما يعكس البعد القومي والإصلاحي الذي أراد راسم صبغ الصحافة الوطنية به منذ بداياتها[1].

مع مطلع القرن العشرين، وفّرت الصحافة التونسية منبراً حراً لنخبة من الأقلام الجزائرية المهاجرة، وكان في طليعتهم **عمر راسم** الذي وجد في الصحف التونسية فضاءً رحباً لنشر أفكاره الجريئة ومناهضة السياسات الاستعمارية دون تحفظ، مستفيداً من تضامن الأشقاء مع محنة الشعب الجزائري. وقد شكّل المقال الذي نشره راسم في جريدة "التقدم" عام 1907م، تحت عنوان" :**رأي حر: رسالة مفتوحة إلى رئيس الحكومة الفرنسية والوالي العام على الجزائر**"، محطةً مفصلية في تاريخ العلاقات الفكرية والوطنية بين القطرين، حيث دشّن صفحة من التعاون النضالي الذي تعمق لاحقاً بظهور أجيال من المفكرين الذين اقتفوا أثره. أكدت رسالة راسم حينها على المسؤولية التاريخية الملقاة على عاتق النخبة في المطالبة بالحقوق السياسية والوطنية المشروعة للشعب الجزائري، وظل على صلة وثيقة بهذا الفضاء الإعلامي التونسي النابض حتى توقفه القسري جراء التعطيل سنة 1911م، ليؤكد بذلك دور الصحافة كجسرٍ عابر للحدود في صياغة الوعي التـــــحرري المشترك[2].

تفرد عمر راسم بكونه أحد رواد الكلمة والريشة الذين سخروا الصحافة لخدمة القضية الجزائرية، حيث صاغ مشروعا فكريا متكاملا ارتكز على إستعادة السيادة الثقافية والسياسية ويمكن حصر أبرز القضايا التي ناضل من أجلها في النقاط التالية:

* مناهضة الهيمنة الإستعمارية: حيث قام بالتصدي لسياسات الإخضاع والقوانين الجائرة التي استهدفت الشعب الجزائري.

* تصحيح المفاهيم المتعلقة بالهوية: العمل على ترسيخ المصطلح الأصلي "الجزائر" بديلا عن المصطلحات الإستعمارية لإعادة ربط الشعب بجذوره التاريخية والجغرافية.

* النهضة الإصلاحية : حيث دعا إلى ضرورة تجديد الفكر الإسلامي والإجتماعي متأثرا بمدرسة جمال الدين الأفغاني.

---

[1] ينظر: توفيق مزاري عبد الصمد، الوعي السياسي والإجتماعي في صحافة عمر راسم، مجلة البحوث والدراسات العلمية، مج 19، ع01، 2025، ص 04 ص05.

[2] ينظر: أضواء على النضال الصحفي للشيخ عمر راسم، مجلة الحقيقة، ع 32، ص 382-383.

* تعزيز العمق المغاربي: فقد مدى جسور التواصل الفكري مع تونس لخلق جبهة إعلامية موحدة تناصر القضية الجزائرية وتكسر العزلة التي فرضها الإحتلال.

## 2. عمر بن قدور الجزائري:

عمر بن قدور الجزائري "**صحفي وكاتب وشاعر من رواد الصحافة العربية الوطنية في الجزائر، ولد بمدينة الجزائر العاصمة سنة 1886م حكم لويس تيرمان Louis tirman**" [1]، وقد سمحت له ظروف أسترة بأخذ العلم والتردد على الكتاب من أجل حفظ القرآن وهو في سن صغير، كما نهل من حقل الأدب والفقه واللغة، يقول أبو القاسم سعد الله : " **دخل إلى المدرسة الثعالبية، وفيها احتك بشيوخه: عبد القادر المجاوي، وعبد الحليم بن سهابة**" [2]، وقد لعبت الأسرة كما قلنا سابقا دوراً محورياً في صياغة الجوانب الوجدانية والإنسانية لشخصيته ، حيث نال من رعاية والدته وحنانها ما شكّل ملاذه العاطفي الأول وصمام أمانه النفسي في مواجهة صعاب الحياة. ويتجلى عمق هذا الارتباط الوجداني وشدة التأثر بفقدانها في بوحه الصادق الذي يفيض لوعةً وعرفاناً حيث يقول" **:لو كنت أعلم أن هذه الدموع التي تتصبب من مقلتي تقنعني بالجواب لسألت كل قطرة منها علام نزلت من حجرها، وبرزت في مكمنها على تلك الوالدة التي طالما ضمتني إلى صدرها وقربتني إلى فؤادها وأعدت لي في حضنها متكأً رحباً وضجعاً واسعاً**" [3]، هذا البعد الإنساني العميق يكشف عن جانب الرقة والوفاء في شخصيته وهو الجانب الذي توازى دائماً مع صلابته في مواقفه السياسية والصحفية.

يتمثل الإرث الفكري والوطني للشيخ **عمر بن قدور** رائد الصحافة الإصلاحية في الجزائر، في مجموعة من الإسهامات التي هدفت إلى نشر الوعي ومجابهة الاستعمار، وتنوع هذا التراث بين المقالات الصحفية المؤثرة التي دافع فيها عن الجزائريين ضد مراسيم التجنيد الإجباري والقوانين الفرنسية الجائرة، وبين التأليف المتخصص. ومن أبرز مؤلفاته كتاب "**الإبداء والإعادة في مسلك طريق السعادة**"، وهو مصنف في التصوف يقال إنه ألفه بعد انخراطه في الطريقة التيجانية على يد

---

[1] وزارة المجاهدين، موسوعة أعلام الجزائر ( 1830– 1954م)، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م ، الجزائر، 2007م، ص 252.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ( 1830–1954م)، ج5، ط6، دار البصائر، الجزائر ، 2009، ص 247.

[3] ساحل عبد الحميد، عمر بن قدور الجزائري – رائد الصحافة الإصلاحية في الجزائر دراسة تحليلية، الجزائر، 2014، ص 68.

المقدم محمد بن تواتي الأغواطي، حيث دافع فيه عن مبادئها. إلى جانب ذلك،كان ابن قدور شاعراً مرهف الحس، عبّر في قصائده عن آلام وطنه وتحسّر على وقوع بلاد المسلمين تحت نير الاستعمار، مما جعله صوتاً أدبياً وسياسياً بارزاً في عصره. كما ترك خلفه مخطوطات هامة أخرى مثل "**تفسير القرآن الكريم** "الذي كتبه في سجنه، وكتاب "**تراجم علماء الجزائر**"، وكلها أعمال تؤكد على عمق فكره الإصلاحي الشامل[1].

استهلَّ **عمر بن قدور** مساره الإعلامي بنشاطٍ دؤوب كمراسلٍ صحفي لعدد من كبريات الصحف العربية والمشرقية، حيث برز اسمه منذ عام 1903م في جريدة "**التقدم** "التونسية، ثم جريدة "**اللواء** "المصرية عام 1905م، وصولاً إلى جريدة "**الحضارة** "العثمانية الصادرة في القسطنطينية عام 1911م. إلا أن بصمته الحقيقية تجلّت بوضوح في الصحافة التونسية، حيث ساهم بمقالاته في عناوين بارزة مثل: (التقدم، المشير، الوزير، ومرشد الأمة).ونتيجةً لهذا النشاط الإعلامي المكثف واتصالاته الخارجية التي أثارت هواجس الاحتلال، أقدمت الإدارة الاستعمارية على اعتقاله عام 1906م. وعقب إطلاق سراحه، انتقل إلى تونس لمواصلة نشاطه في بيئة أكثر انفتاحاً، لكن سرعان ما عاد إلى الجزائر حاملاً معه تجربةً مهنية ناضجة، تُوّجت بتأسيس مشروعه الصحفي المستقل والأشهر جريدة "**الفاروق**"؛ لتكون منبراً حراً يكرس الوعي الوطني والإصلاحي في مواجهة السياسات الاستعمارية[2].

تعد جريدة "**الفاروق** "التي أسسها الرائد عمر بن قدور الجزائري واحدة من أبرز المنابر الإعلامية التي قادت لواء الإصلاح والتوعية في مطلع القرن العشرين، حيث مثّلت جبهة دفاع عن مقومات الشخصية الوطنية في وجه السياسات الاستعمارية. وقد عرفت هذه الجريدة مساراً نضالياً حافلاً بالصعاب، إذ "**تم إصدار جريدة الفاروق سنة 1913م بالجزائر العاصمة والتي نشر منها 95 عدداً وقد عطلت فيما بعد ونفي إلى الأغواط، لكن بعد رجوعه أعاد إنشاءها في شكل مجلة أسبوعية لتتوقف بعدها نهائياً وتجدر الإشارة إلى أن جريدة الفاروق كانت من ضمن الجرائد العربية الإسلامية**"[3]، والتي تبنت الفكر النهضي التحرري. ولم يقتصر دورها على الجانب الإخباري،

---

[1] ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 ، ص 280 ص 281.

[2] ينظر: خليل كمال، الفكر الإصلاحي عند عمر بن قدور ( 1886-1932م)، ص 232.

[3] محمد بن صالح ناصر، الصحف العربية الجزائرية – 1847م / 1954م، ألفا ديزاين، الجزائر، ط2، 2006 ، ص 40 ص41.

بل تعداه إلى محاربة الجهل والبدع والتصدي لمشاريع التجنيد الإجباري، مما جعلها حلقة وصل أساسية في تاريخ الصحافة الوطنية الملتزمة بقضايا الأمة وهويتها.

يُعد عمر بن قدور الجزائري مهندس الصحافة الإصلاحية في الجزائر، حيث جعل من منابره الإعلامية ولا سيما جريدة "الفاروق"، ساحةً للنضال الفكري و للدفاع عن حقوق الجزائريين المسلوبة.

ويمكن تلخيص أبرز القضايا التي تمحورت حولها تجربته الصحفية في النقاط التالية:

- **مناهضة التجنيد الإجباري** :قاد حملة إعلامية شرسة ضد سعي السلطات الفرنسية لإقحام الشباب الجزائري في حروبها، معتبراً ذلك استنزافاً للطاقات الوطنية.
- **الإصلاح الديني والاجتماعي** :دعا إلى تنقية المجتمع من البدع والخرافات، متبنياً منهجاً عقلانياً يهدف إلى بعث روح النهضة في الأمة الجزائرية.
- **الدفاع عن اللغة العربية والهوية** :أكد على أن اللغة العربية هي الوعاء الحاضن للشخصية الوطنية، وحارب سياسات "الفرنسة" التي استهدفت عزل الجزائريين عن أصولهم.

### 3. إبراهيم أبو اليقظان:

يُعد الشيخ إبراهيم بن عيسى حمدي الشهير بـ "**أبي اليقظان** (1888–1973) "، قامةً سامقة في تاريخ الفكر والنهضة الجزائرية، حيث تشكّلت معالم شخصيته الفذة بمسقط رأسه "القرارة" في وادي ميزاب، قبل أن يصقل ملكاته العلمية والشرعية على يد كبار العلماء "كالحاج عمر بن يحيى والقطب محمد بن يوسف أطفيش". ولعلّ كنيته المستلهمة من الإمام الرستمي الخامس تعكس مبكراً طموحه في الجمع بين رصانة العلم وعلوّ الهمة القيادية. وقد مثّلت رحلته العلمية إلى تونس عام 1912 للدراسة في جامع الزيتونة والمدرسة الخلدونية محطةً مفصلية في مسيرته إذ توّجها برئاسة أول بعثة طلابية جزائرية إلى الخارج عام 1914، مكرّساً بذلك رؤيته الاستراتيجية التي آمن فيها بأنّ التحرر الحقيقي يبدأ بمحو الأمية والنهوض المعرفي، وهو ما جعله يسخّر حياته لاحقاً لبناء صرح الصحافة الإصلاحية كأداة للتغيير الاجتماعي واليقظة الوطنية[1].

---

[1] ينظر: بوسعيد سومية، من أعلام الفكر الإسلامي الشيخ أبو اليقظان الصحفي المصلح، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع 25، ص 47.

تتسم شخصية الشيخ إبراهيم أبو اليقظان بتعدد الأبعاد المعرفية والنضالية، حيث شكّلت جهوده حجر الزاوية في مسار الحركة الإصلاحية الوطنية، لاسيما في منطقة وادي ميزاب التي اتخذ منها منطلقاً لحماية الهوية الجزائرية وصون مقوماتها الأصيلة من محاولات الطمس الاستعماري. ولم يقتصر إسهامه على الجانب الفكري الفلسفي، بل تجسد عملياً في ريادته للصحافة الإصلاحية التي اتخذها منبراً للتنوير، وفي انخراطه الفاعل ضمن صفوف "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"؛ إذ شغل فيها منصباً قيادياً في هيئتها الإدارية عام 1934م يقول أبو اليقظان عن الجمعية " **لم تمض على إنشاءها مدة وجيزة حتى ضربت موجة الإصلاح بها إلى أقصى البلاد، ثم تسامع الناس أخبارها فكان لها دوي هائل في الغرب والشرق، وكان لها صوت مسموع في أقطار الإسلام .....**"[1]، ليؤكد بذلك على وحدة النسيج الإصلاحي الجزائري وتكامل جهود علمائه في سبيل النهضة الوطنية الشاملة.

واجهت صحافة الشيخ إبراهيم أبي اليقظان تحديات جسيمة في بيئة سياسية قمعية فرضها الاحتلال الفرنسي، حيث كانت تخضع لرقابة يومية صارمة وتتعرض للمصادرة والإغلاق المتكرر. هذه الصعوبات اللوجستية، وخاصة قبل تأسيسه لـ "**المطبعة العربية** "في الجزائر (يعد أول من أدخل آلة الطباعة العربية إلى الجزائر)، أجبرته على طباعة معظم أعداد جرائده في الخارج، بداية في تونس ثم لاحقاً في المغرب. لم يكن هذا الترحال اللوجستي كافياً للهروب من أعين السلطات الاستعمارية التي كانت تراقب نشاطه عن كثب. فقد أقلقت صحفه السلطات بسبب معالجتها لقضايا حساسة ومحورية مست جوهر السياسة الفرنسية. وتناولت هذه الصحف (التي بلغت ثماني جرائد ممولة ذاتياً) قضايا وطنية جوهرية مثل مناصرة القضاء الإسلامي واللغة العربية ومجابهة السياسة التعليمية الفرنسية الهادفة لطمس الهوية الوطنية. كما كانت الصحافة اليقظانية منبراً لقضايا العالم العربي والإسلامي كالقضية الفلسطينية والأزمة الاقتصادية العالمية عام 1929، مما وسّع من دائرة تأثيرها وأغضب الإدارة الاستعمارية التي سعت بكل السبل لكبح جماح هذا الصوت التنويري[2].

استطاع الشيخ أبو اليقظان عبر منابره الثمانية صياغة خطاب إعلامي نضالي، جعل من الصحافة سلاحاً لمواجهة المخططات الاستعمارية وتوعية الرأي العام الجزائري بالقضايا التالية:

---

[1] أبو اليقظان، موجه الإصلاح الديني والعلمي بالقطر الجزائري، جريدة البصائر، العدد1، 1935م، ص06.

[2] ينظر: مفدي زكريا، تاريخ الصحافة في الجزائر، تح: أحمد حمدي، دار هومة، الجزائر، 2003م، ص 167 ص 172.

- **الدفاع عن الهوية الوطنية** :ركز على ترسيخ عناصر الشخصية الجزائرية (الإسلام، العربية، والوطن) ومحاربة سياسات الفرنسة والتغريب.
- **الإصلاح الديني والاجتماعي** :محاربة البدع والخرافات، والدعوة إلى تعليم المرأة، والنهوض بالمجتمع من خلال التربية والأخلاق.
- **مناهضة السياسة الاستعمارية** :كشف زيف الوعود الفرنسية، وانتقاد القوانين الجائرة مثل "قانون الأهالي"، والمطالبة بحقوق الجزائريين المسلوبة.
- **القضايا العربية والإسلامية** :ربط الجزائر بعمقها العربي والإسلامي، وعلى رأسها الدفاع عن القضية الفلسطينية ودعم حركات التحرر في المغرب العربي.
- **الوحدة الوطنية** :دعا إلى نبذ التفرقة المذهبية والجهوية، وهو ما تجسد في عمله التنسيقي بين مختلف ربوع الجزائر تحت لواء جمعية العلماء المسلمين.

تُعد تجربة رواد الصحافة الجزائرية نموذجاً فريداً لـ "الصحافة النضالية" التي لم تتوقف عند نقل الخبر، بل جعلت من الكلمة المكتوبة سلاحاً استراتيجياً لمواجهة محاولات الطمس الحضاري. لقد نجح هؤلاء الرواد في تحويل المنبر الصحفي إلى مدرسة وطنية متنقلة، استطاعت رغم الحصار والمصادرة والرقابة الاستعمارية الصارمة أن تصون مقومات الهوية العربية الإسلامية، وتخلق وعياً سياسياً ناضجاً مهد الطريق لاندلاع الثورة التحريرية، مؤكدين عبر مسيرتهم الحافلة أن الصحافة في الجزائر ولدت من رحم المعاناة لتكون صوتاً للحق ومرآةً لآمال الشعب في الحرية والانعتاق.